

الهوية والسرد في رواية باب الطباشير لـ أحمد سعداوي

Identity and Narrative in the Novel of Bab Al Chalk by Ahmed Saadawi.

أ. م. د. آلاء محسن حسن الحسيني*

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية (العراق)

alhasenyalaal@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/09/06 تاريخ القبول: 2022/12/0 تاريخ النشر: 2022/12/31

. ملخص:

تهدف هذه الدراسة الى الكشف عن هوية الفرد العراقي الضائعة في ظل الصراعات والتحويلات السياسية التي شهدتها العراق في مرحلة من المراحل التي مرّ بها ولاسيما فترة التسعينيات الى 2013 ورصد تأثيرها على شخصية الفرد العراقي المثقف بأسلوب روائي مميّز يمزج الواقع بالخيال. وقد توصل البحث الى جملة نتائج من بينها أن احمد سعداوي استطاع ان يجسد فقدان الفرد العراقي لهويته وسط عالم مليء بالصراعات والتحويلات السياسية كما رصد كيفية البحث عن هذه الهوية الضائعة . وعالجت رواية (باب الطباشير) صورة الفرد العراقي الايجابية والسلبية ، كما كانت الصورة السلبية في الرواية هي الغالبة من خلال الصراع الطائفي بين الأديان والثقافات المختلفة والتمرد على الواقع المعاش والشعور بضياع الهوية الشخصية.

الكلمات المفتاحية : الهوية، السرد ، رواية، باب الطباشير.

Abstract:

This study aims to reveal the identity of the Iraqi individual lost in light of the conflicts and political transformations that Iraq witnessed at one of the stages it passed through, especially the period of the nineties to 2013, and to monitor its

impact on the personality of the educated Iraqi individual in a distinctive narrative style that mixes reality with imagination.

The research reached a number of results, including that Ahmed Saadawi was able to embody the Iraqi individual's loss of his identity in the midst of a world full of conflicts and political transformations, as well as monitoring how to search for this lost identity. The novel (The Chalk Gate) dealt with the positive and negative image of the Iraqi individual, as the negative image in the novel was predominant through sectarian conflict between different religions and cultures, rebellion against the lived reality and a feeling of loss of personal identity.

Keywords: identity - narration - novel - chalk door.

مقدمة:

ساهمت الرواية العراقية في تكوين هوية الانسان وثقافته ، فقد كانت وما تزال تزخر بالصور الدلالية المعبرة عن الهوية الثقافية والحضارية، وقد كانت رواية باب الطباشير ل أحمد سعداوي احدى النصوص الروائية التي اشتغلت على الهوية وبيّنت اهمية السرد في صياغة عناصرها .

اذ تعد رواية باب الطباشير من الروايات المهمة التي تمثل مرحلة من المراحل التي مرّ بها العراق ، وهي أيضاً من الروايات النادرة التي جمعت بين ما هو فلسفي وما هو واقعي من خلال تصوير الواقع العراقي المظلم في فترة معينة من الفترات التي عاشها الشعب العراقي وهو ما دفع بالبطل الى التطلع لتحقيق حلم العدالة الاجتماعية .

وقد حاولنا من خلال هذا البحث ان نسلط الضوء على الهوية وأبعادها وتجلياتها في خطاب

أحمد سعداوي وقد تطلب ذلك تقسيم البحث إلى :

أولاً : مدخل الى مفهوم الهوية.

ثانياً: الهوية السياسية

ثالثاً : الهوية الثقافية

رابعاً : الهوية الدينية

أولاً : مدخل الى مفهوم الهوية :

يتميّز الانسان عن سائر الكائنات بالمحافظة على هويته ، فالهوية جزء لا يتجزأ من حياة الفرد منذ ولادته حتى مماته ، وتعرّف الهوية على أنّها " مجموعة من الخصائص والمميزات الأساسية الاجتماعية ، الفلسفية ، التي تدل بوضوح على حقيقة أو كيان قوم ، تجمعهم هذه الخصائص فتميّزهم عن الآخرين ، فهوية الانسان أو الثقافة أو الحضارة هي جوهرها وحقيقتها " (1) ، أي أن هوية الأمم تتحدد بصفاتها التي تميّزها عن غيرها ، وبذلك فإن مفهوم الهوية يتداخل معناه مع عدة مدلولات أهمها الخصائص والميزات التي تميّز الفرد أو الجماعة أو الأمة .

وتعرّف الهوية أيضاً بأنها " مركب مبني ومعترف به جماعياً ، وذلك من دلالات الذات الممتدة من عضوية الفرد كالطبقة والعرق واللغة " (2) ، أي أن الانسان يعيد إنتاج وعيه وشخصيته من خلال الطبقة والعرق واللغة .

ولعل مما يميّز الهوية الإنسانية أنها متغيرة وليست ثابتة ، فهي ليست " موضوعاً ثابتاً أو حقيقة واقعة بل هي إمكانية حركية تتفاعل مع الحرية " (3) ، وهي في الوقت نفسه نتاج التاريخ والثقافة ومتغيرات الواقع ذلك أن " رؤية ما بعد الحداثة تصدر عن اعتقاد بأن الطبيعة والبشر والهويات والأحداث والظواهر والأفكار لا تتشكل مرة واحدة والى الأبد ، بل كلها نتاج لحظة تاريخية وسياقات ثقافية تعطي لهذه الأشياء خصوصيتها التي لا يمكن تجاهلها كما لا يمكن تجريدها منها " (4) .

وهذه الحقيقة أكّدها (ستيوارت هال) عندها ذهب الى القول أن الهوية الانسانية " ليست هوية ثابتة ولا هوية دائمة وتفترض هويات مختلفة في أزمنة مختلفة " (5) ، أي أن هوية الانسان تكتسب مع مرور الزمن واستمرار الحياة فلا توجد صورة نهائية للهوية بل صور متعددة .

لا شك أن كلمة الهوية تتداخل مع عدد من المفاهيم التي قد تساعد في جلاء المعنى أحياناً أو تعقيده أحياناً أخرى سواء كانت نفسية أو اجتماعية أو فلسفية أو ثقافية أو سياسية أو غيرها ، فهي " ليست معطى نولد به ؛ إنما لها جذورها في مراحل مبكرة من عمر الانسان تعطيه احساساً داخلياً بالوحدة والانسجام والانتماء " (6) ، الأمر الذي يقتضي منا أن نبحث عن جذر لغوي لكلمة الهوية التي وردت في المعجم الوجيز بمعنى الذات (7) ، وفي المعجم الوسيط تعني " حقيقة

الشيء أو الشخص التي تميّزه عن غيره" (8) ، وقد ساهم الفلاسفة أكثر من اللغويين في تفسير الهوية (بضم الهاء) وهي منسوبة الى (هُو) وتقابل الآخر أو الغيرية " فالهوية التي تدل على ذات الشيء من حيث كونه الشيء هو نفسه إذا كان كلياً كما هيبة الإنسان ، وهوية إذا كان جزئياً كحقيقة زيد" (9) ، أما في كتاب التعريفات للجرجاني فالهوية تعني " الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق" (10) . بمعنى أن هوية الشيء أو الشخص تمثل خصوصيته التي لا يشترك فيها مع أحد والتي تميّزه عن غيره .

أما على صعيد الواقع فيرى البعض صعوبة تحديد وتعين الهوية وعدّها مصطلحاً ايديولوجياً أكثر منه علمياً ، وذلك لأن الهوية يمكن التعبير عنها أو تجسيدها من خلال الدين أو اللغة أو الوطنية أو القومية، وكل هذه خصائص متغيرة حسب طريقة استخدامها وتوظيفها ، لذلك يمكن لمجتمع واحد أن يبدل هويته حسب المراحل المختلفة تاريخياً ووفقاً للظروف الحاكمة.

من خلال ما تقدّم لا يسعنا إلا أن نقول بصعوبة تحديد مصطلح الهوية ، وذلك لتعلّقه بمجالات معرفية متعددة سواء كانت سياسية أو نفسية أو فلسفية أو اجتماعية أو غيرها ، لكنها تبقى مجمل السمات او الخصائص التي تميّز فرد عن غيره .

ثانياً : الهوية السياسية

إن علاقة السياسة بالهوية علاقة ترابط وتماسك ، فالنظام السياسي يمارس سلطته في الحياة السياسية اليومية على الجماعات والافراد والهويات من خلال تصنيفهم وتعينهم بمهياتهم وفرض القواعد القانونية عليهم وبالتالي تصبح الهوية سياسية نتيجة لعلاقة الانسان او الفرد بالسلطة .

وإذا كانت الرواية تنظر الى الهوية على أنّها " مسار تكويني يصاغ بفن سردي وبحركة تفاعلية بين الأنا والآخر تأسيساً للوجود " (11) ، فإن الهوية عند اهل السياسة يُنظر لها على أنّها مجموعة من السمات المشتركة لجماعة بشرية ، وهي المكون الأساسي لبنية الدولة الفكرية والسياسية .

وتتحلى علاقة السياسة في تكوين هوية الأفراد واضحة في رواية باب الطباشير لأحمد سعداوي من خلال بيان أثر الأزمة السياسية في تكوين هوية بطل الرواية (علي) ، إذ خلفت الأزمة السياسية لديه معاناة نفسية تمثلت بالشتم والصراخ على غير المعتاد ، إذ يقول : " كانت

الأزمة السياسية على حالها ، ولا يبدو أن هناك اتفاقاً على تحديد اسم رئيس وزراء جديد بديلاً عن المنتهية ولايته المتشبهت بحقه الدستوري ، كما يرى ، في شغل هذا المنصب لولاية ثالثة . القصة كلها لا تستحق من علي ان يتابعها ، الخراب يتناسل ، هكذا ظلّ يكرر على مسامع أخيه ، هو كان يشتم كنوع من الصراخ وطلب النجدة من المجهول أو أي سلطة خارج القوانين الصلبة التي تتحكم برقبة العالم من حولنا ، والتي قادت الى هذا الخراب المتناسل "(12) .

ويغدو الواقع أحياناً أقوى من إرادة الشخصية الساعية للتغيير . وبالتالي ينتقم الواقع من المسعى ، ويكون الثمن رضوضاً نفسية ، وإحباطاً معنوياً ، وحيرة عقلية ، وانكفاءً على الذات ، وهذا ما نلمسه في شخصية (عمّار) الذي تعرض الى خسائر مادية كبيرة الأمر الذي ترك أثره على سلوكه وتصرفاته ، يقول : " كان عمّار يولول في صالة بيته . لديه أموال كان يفترض أن يسحبها من المصرف اليوم . وهناك طلبيات على بضائع تدخل شاحنتها الى بغداد في اليوم التالي . كان يثرثر بكلام كثير ، ولم ترد عليه زوجته ولا اطفاله بشيء ، خشية ان يتحوّل غضبه باتجاههم "(13) .

وثمة شخصيات تحاول الهرب إلى ملاذات لا تعرف عنها شيئاً . وفي أحايين كثيرة هي لا تعرف على وجه التحديد ماذا تريد.. هنا يمكننا التكلم عن فقدان الاتجاه والتهيه . ولأن أرضيتنا الاجتماعية والسياسية دائمة التعرض لزلزل وانحيارات يصبح خلق شخصية تجد خلاصها في نهاية المطاف ، وتنعم بالاستقرار والسلام ، ضرباً من التضليل والتلفيق ، إذ سنجد أن شخصية البطل في الرواية (علي) تتأرجح بين الثبات والاستقرار ، بسبب التحولات السياسية والاجتماعية التي حلّت بالعراق ، فنراه في البدء يبحث عن هويته التي تتجسد من خلال الشعور بالانتماء الى جماعة تتوافق إنسانياً وتتلاقى ضمن منظومتهم من القيم والتوجهات وتتسم بالتمرد بهويتها الانسانية ، مؤسسين ما يعرف بجمعية المنتحرين ، يقول : " كان يفترض وحسب الموعد الذي ضربه مع أصدقائه السبعة عشر في جمعية المنتحرين ، أن يحضروا ها هنا في هذه الساعة تحديداً . سيكون معه ثمانية عشر منتحراً ينفذون غطسة جماعية وأخيرة مع ضربات الساعة الأولى في القرن الجديد "(14) .

ثمّ بعد ذلك نرى شخصية (علي) مع جمعية المنتحرين وبسبب الأحداث والتحولات السياسية تمرد وتأرجح في هويتها ، وكلاً منهم سار في اتجاه مغاير ، يقول : " لماذا يبدو ، بعد أكثر من عقد على "جمعية المنتحرين" وكأنه ما زال هناك في فقاعة الحس العدمي التي صنعها هو واصدقاؤه

وعاشوا فيها سنوات طويلة ، كانت مبررة بسبب انغلاق الأفق وندرة إمكانيات التغيير المتاحة أمامهم ، وأيضاً بسبب ضعف التجربة وصغر سنهم . إلا إن عقد جماعته الأولى انفرط ، وكلّ انشغل بنفسه مع التيار الجارف والصاحب للأحداث ما بعد 2003 . صارت تحدث في شهر واحد أشياء أكثر مما في سنة من سنوات الحصار ⁽¹⁵⁾.

ولعل من آثار التحولات السياسية التي انعكست أيضاً على الهوية الانسانية أننا نجد أن هوية بطل رواية باب الطباشير (علي) تتأرجح بين الثبات والاستقرار حتى في المهنة التي تمارسها ، ف بعد أن كان علي يمارس مهنة المذيع أو مقدم البرامج تحوّل الى مهنة المستشار في المجلس العسكري ، يقول : " هو اذن في العمق لا يمانع هذا التحوّل الذي سيحصل في حياته ، من مذيع ومقدم برامج مغمور الى مستشار في المجلس العسكري ، بمرتب كبير وربما حمايات وامتيازات كثيرة اخرى " ⁽¹⁶⁾.

ثانياً : الهوية الثقافية

إنّ الحديث عن الهوية لا ينفصل عن الحديث عن الثقافة ، فهما وجهان لعملة واحدة ذلك أن " للثقافة أهمية باعتبارها نبعاً يغذي الهوية الفردية والجماعية وبالتالي تتحول الهوية الى استراتيجية تستخدم الثقافة وتغيّرّها لتصبح مختلفة عما كانت عليه وتستخدم من أجل الصراع ونفي الآخر ⁽¹⁷⁾ ، ومفهوم الهوية الثقافية يعني أن " لكل مجتمع ثقافة ، ولكل ثقافة هويتها الخاصة التي تنطلق منها وتخضع لها في جميع نتائجها ، وتمثل فيما يمكن أن نسميه نسق القيم الإنسانية ⁽¹⁸⁾ ، وهو أيضاً يعني " أننا أفراد ننتمي الى جماعات لغوية محلية ، أو إقليمية أو وطنية ، بما لها من قيم أخلاقية وجمالية تميّزها ، ويتضمن ذلك أيضاً الأسلوب الذي نستوعب به تاريخ الجماعة وتقاليدها وعاداتها وأسلوب حياتها ، وإحساسنا بالخضوع له والمشاركة فيه ، أو تشكيل قدر مشترك منه، وتعني الطريقة التي تظهر فيها أنفسنا في ذات كلية ، وتعد بالنسبة لكل فرد منا نوعاً من المعادلة الأساسية التي تقرر - بطريقة سلبية أو إيجابية - الطريقة التي نتسبب بها الى جماعتنا والعالم بصفة عامة ⁽¹⁹⁾ .

إذن لكل مجتمع هويته الثقافية الخاصة به والتي تميّزه عن المجتمعات الأخرى ، وهي تمثل القيم والعادات والتقاليد التي يشترك بها مجموعة من الأفراد ، وتؤثر في ذات الوقت في تكوين الفرد بوصفه عضواً في المجتمع.

إنّ الحديث عن الهوية الثقافية يقتضي منّا أن نعرّج على مفهوم الثقافة ، لاسيما ان العلاقة بينهما قائمة على التأثير والتأثير المتبادل ، فالثقافة تشير الى " ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقيدة والفن والتقاليد وأي قدرات وعادات أخرى يتعلمها الإنسان كعضو في المجتمع "(20) ، وهنا نجد أن مفهوم الثقافة يتبلور من مجموعة من المعتقدات والتقاليد الاجتماعية التي يحصل عليها الفرد من المجتمع حتى يشعر بالانتماء اليه .

ولو تتبعنا مسار ظهور الثقافة في المجتمعات الانسانية نجد أن هناك علاقة وثيقة بين الثقافة واللغة، فالثقافة لم تعرف " إلا عندما عرف الانسان كيف يشير الى الأشياء والعلاقات وإذا كانت كلمة الثقافة تنشأ في كتابات الانثربولوجيين الى أسلوب الحياة السائدة في مجتمع ما ، فإن هذا يعني وجود علاقة وثيقة بين اللغة والثقافة ، أي أن اللغة أداة تواصل وحفظ للمكتسبات الإنسانية من أفكار وعلوم وبالتالي فهي أداة ضرورية في إنتاج ثقافة ما ومنه فإن الثقافة لا تكون إلا عبر وعاء يضمن استمراريتها وتطورها وهذا الوعاء هو اللغة "(21) .

يطرح أحمد سعداوي في روايته (باب الطباشير) الهوية الثقافية من خلال ابراز جميع المظاهر والعادات والأعراف في المجتمع العراقي ، وتمثل الألعاب التقليدية وجهاً من أوجه الهوية الثقافية ، إذ تشكل مناسبة لالتقاء الناس فيما بينهم ، يقول : " كنتُ قد حصلت على فرصة للعمل في الأردن ، حين كنتُ أرى أمير يخوض نقاشات كثيرة مع شباب من منطقتنا السكنية ، زملاء الطفولة والدراسة الابتدائية والثانوية وآخرين غيرهم ، يجتمعون على لعبة كرة قدم مثلاً ، أو يشربون الشاي في المقاهي ، ويطلبون من أمير ألاّ يلعب الدومينو أو الطاوي والشطرنج لأنها ألعاب شيطانية محرّمة "(22) . فقد استطاعت لعبة كرة القدم ان تجمع أبناء المنطقة السكنية الواحدة على الرغم من اختلافاتهم الفكرية والمرجعية .

ومن تجليات الهوية الثقافية ايضاً التراث الفكري والقولي، كما عرّفه محمد رياض وتّار عندما قال: " الموروث الثقافي والاجتماعي والمادي ، المكتوب والشفوي ، الرسمي والشعبي، اللغوي وغير اللغوي ، الذي وصل الينا من الماضي البعيد والقريب "(23) .

ومن بين عناصر التراث القولية الموظفة في الرواية اللهجة العامية التي تحمل مخزوناً ثقافياً مهماً ،
 إذ جاء توظيف اللهجة العامية العراقية بشكل بارز على لسان شخصيات الرواية مثل شخصية
 العجوز (فتّاح) والدكتور (واصف) اللذان كانا يتبادلان الحوار باللهجة العراقية ، يقول :

" إنهم في عمر رومانسي ، والانتحار فكرة رومانسية

يعني ... هو ليس جاداً ؟ سيترك الموضوع ، هل تريد قول ذلك ؟

سأل فتّاح بقلق ، فردّ دكتور واصف :

لا أعرف . ولكن البشر لا يقومون غالباً بالأعمال الحكيمة . ثلاثة أرباع أفعال البشر إما غير
 واقعية ومتهورة ، أو أعمال رومانسية في جوهرها

لا تتفلسف عليّ دكتور الله يخليك. آني خايف من الموضوع . هذا الولد بس هو عندي، وإذا مات
 ما أعرف شراح أسوي

لن يموت، أنا أعدك بذلك " (24).

لقد كان اختيار الكاتب للهجة العامية على لسان الشخصية (العجوز فتّاح) اختياراً موفقاً،
 لأسباب أهمها أن استخدام العامية أسهم في بناء المستوى البيئي والثقافي للشخصية ، كما ساهمت
 اللهجة العامية أيضاً في إيصال الصورة (صورة الإنسان البسيط) بشكل أقرب الى المتلقي .

وتكئى الرواية على رافد ثقافي آخر وهو اللباس ، الذي يرتبط في شكله ولونه وحجمه وطريقة
 ارتدائه بثقافة معينة، إذ ظهرت في المجتمع العراقي وبسبب المشاحنات الطائفية جماعة من الناس

يرتدون ملابس معينة ترمز الى طبيعة الديانة التي ينتمون اليه ، يقول : " ثم لفتت انتباه علي حركة
 في شارع الرشيد ، مجموعة من عشرين الى ثلاثين شخصاً ، من حليقي الرأس ، ترتدي ملابس

صفراء ويسيروا بحدوء وصمت خلف بعضهم البعض الآخر .

- إنهم البوذيون العراقيون، يذهبون كل يوم للصلاة في الموقع الذي يطالبون بتحويله الى معبد" (25)

ثالثاً : الهوية الدينية

يعد الدين من أبرز المقومات التي تنبني عليها الهوية الانسانية ، فمن خلال الدين والتاريخ واللغة
 وغيرها من العناصر الأخرى التي تساهم في تكوين الهوية ، يتم تعزيز الهوية الثقافية للأشخاص ،

فالدين يمثل " الحالة النفسية والعقلية والوجدانية ، التي يتصف بها شخص معين، ونسُميها التدين، أو هو مجموعة من المبادئ والقيم التي تدين بها أمة أو جماعة اعتقاداً أو عملاً ، وتظهر في الكتب والمراجع والروايات ، وتتمثل في عادات خارجية أو آثار اجتماعية "(26) ، وكلما زاد الالتزام الديني للفرد ازدادت قوة هويته الثقافية .

على الرغم من صعوبة الوقوف على تعريف واضح وشامل للدين ؛ بسبب تعدد الديانات واختلافها لكن يبقى الدين عنصراً مهماً من عناصر تشكّل الهوية الانسانية ، لأنه هو الذي يحدد اختلاف الهويات " إذ تذوب في الحروب الهويات المتعددة العناصر ، وتصبح الهوية الأكثر معنىً بالنسبة للصراع هي السائدة ، وغالباً ما تتحدد هذه الهوية دائماً بالدين "(27) ، و " تبدو أهميته في تشكيل فكر الناس وسلوكهم في انه دعوة لا تخاطب عقلية الانسان فقط وانما تخاطب أيضاً ضميره ووجدانه ، لذلك فليس غريباً أن يكون الدين أو المذهب الديني عنصراً أساسياً في تكوين الطابع القومي ، ذلك لأن الدين يولّد نوعاً من الوحدة في شعور الأفراد الذين ينتمون اليه ويشير في نفوسهم بعض العواطف والنزعات الخاصة التي تؤثر في أعمالهم ، فالدين من هذه الوجهة من أهم الروابط الاجتماعية التي تربط الافراد بعضهم ببعض "(28) .

تحمل رواية (باب الطباشير) ل أحمد سعداوي إشكاليات عديدة ، فيما يخص الصراعات الطائفية والدينية التي عاشها الشعب العراقي ، مما أدى الى نشوب اختلافات وصراعات جذرية تارة وعميقة تارة أخرى بين أفراد الشعب الواحد والى إحداث القطيعة بينهم .وقد تجسدت احدى صور هذه الصراعات في حديث (عبد العظيم) لصديقه بطل الرواية (علي) ، يقول : " كانت المعارك مصممة ، بما أنه صراع طائفي مباشر وصريح، على وفق حكايات منتزعة من التاريخ ، حكايات ذات طابع طائفي ، او يمكن القول بأنها الحكايات التي توجج دائماً الصراع الطائفي . واقعة الطف ، الشمر او عمر بن سعد بمواجهة الحسين والعباس . المختار الثقفي بمواجهة عمر بن سعد او عبيد الله ابن زياد. معاوية بمواجهة علي بن أبي طالب، وفي نسخة أخرى عمرو بن العاص بمواجهة علي بن أبي طالب، أو مواجهة مع عمّار بن ياسر أو مالك الأشتر، صلاح الدين الأيوبي بمواجهة قائد فاطمي "(29) .

بهذه الصورة التي يرصدها لنا (عبد العظيم) عن المجتمع العراقي ، يتبين لنا بذور الاختلاف والتباين في المذهب الديني (السنة والشيعية)، وعجز افراده عن بناء حاضر متماسك يحتل الانسان فيه مكانة مرموقة.

وفي صورة أخرى من صور الاختلاف والتباين الموجود بين أبناء الشعب العراقي ، يتجلى لنا ذلك في تعدد وتنوع الديانات ، كما تتجلى شخصية الفرد العراقي غير المتعصب لدينه في صورة أخ علي (عمار) الذي يعلن عن استعداده بالاتصال والاحتكاك بكل الديانات التي تصل الانسان بربه ، وهذا ما يتجسد في قوله : " صرت مثل المجنون في الصلاة ، ولم تفعل حقنة الخلايا الجذعية شيئاً . ربما كانت مجرد خدعة ومقلب . وكثرة الدعاء قادتني الى نتيجة محددة ؛ ربما أنا لست الشخص المؤهل للدعاء بشكل قوي وفعال بحيث يخترق دعائي حجب السماء ويصل الى مسامع الرب . اتصلت بأحد الأصدقاء ومن خلاله جلب رجل دين شيعياً ذا ملامح وادعة وصوت خفيض . جاء ووقف عند رأسك في غرفتك بالمستشفى وأمسك بيدك اليمنى وصار يقرأ آيات من القرآن وأدعية من الصحيفة السجادية ... غادر الشيخ البليغ ذو الصوت المؤثر ، ولم يحدث شيء بعدها . لا يبدو أن الله اهتم كثيراً لهذا الشيخ اللطيف "(30)، ولعلّ أشد ما يبرز هذا الانفتاح الديني استعانتة برجال من الديانات الأخرى : " جاءني محمد سدخان برجل دين كلداني ظلّ يقرأ من الإنجيل ، ثم صابئي وضع أغصان آس تحت إبطيك وردّد آيات بالآرامية من الـ " كنز ربّه " المقدس . تجاوزت مع ما قام به ولم اعترض "(31)، وفي استعانتة برجل من الديانة اليزيدية دلالة على هذا الانفتاح الديني، كما تتضح هذه النظرة جلية في المقطع التالي : " ومن أحد النازحين من الموصل جلب صديق تاجر قنينة صغيرة قال أنّها تحوي الماء المقدس عند اليزيدية ، وهو يؤخذ من عين ماء تسمى " كاني يسي" وطلب مني أن استخدمها "(32) .

لقد عبّرت هذه الشخصية (عمار) من خلال انفتاحها الديني عن أن العلاقة بين الأديان هي علاقة تقوم على المغايرة وليست الضدية .

ومن مظاهر التمرد على الدين تحوّل بعض العراقيين الى البوذية كرد فعل على الأوضاع المشحونة بالنزاعات الطائفية ، وهذا ما يتضح في قول الدكتور (واصف) في حوار مع البطل (علي): " أنت

لا تعرف ربما أن لدينا مشكلة تتعلق بالبوذيين العراقيين . هناك حوالي مليوني عراقي تحوّل الى البوذية منذ سنوات ، كردة فعل كما أفسر على جو المشاحنات الطائفية . ولكنني لم أكن اتوقع أن يأخذوا عقيدتهم الجديدة على محمل الجد . تصوّر هم الان بصدد إنشاء معبدٍ بوذي في مكان قريب من هنا ، في شارع الرشيد ، يقولون أنه كان يحوي خاناً لمنام المسافرين في أواخر العصر العباسي ، وكان مقرّاً لزيارات سنوية قام بها تاجر صيني يجلب الورق الى بغداد ، وهو في الوقت نفسه عالم ومتصوّف بوذي كبير نسبت اسمه «(33)» .

وهنا إشارة الى ذلك الصراع الطائفي بين الأديان وتحوّل العراق في فترة من الفترات الزمنية الى ساحة صراع بين الطوائف الدينية ، الأمر الذي أدى بالبعض الى ترك الدين الذي يعتنقه والتحوّل الى ديانة أخرى غير معروفة في العراق .

الخاتمة :

بعد دراستنا لموضوع الهوية والسرد في رواية (باب الطباشير) خلصنا الى جملة نتائج نوجزها في

الآتي :

- تعد الهوية من الموضوعات النقدية التي تتعلق بالمنهج الثقافية القادرة على رصد صور التفاعل الثقافي والايديولوجي الذي تمثله اشكالية الهوية .
- تتمحور الهوية في رواية (باب الطباشير) في ثلاثة أبعاد : البعد السياسي ، والبعد الثقافي ، والبعد الديني ، وقد برزت هذه الأبعاد من خلال تفاعل الأحداث والشخصيات في تصوير قضايا الواقع السياسي والثقافي وغيرها .
- لقد استطاع احمد سعداوي ان يجسد فقدان الفرد العراقي لهويته وسط عالم مليء بالصراعات والتحويلات السياسية كما رصد كيفية البحث عن هذه الهوية الضائعة .
- لقد عاجلت رواية (باب الطباشير) صورة الفرد العراقي الايجابية والسلبية ، كما كانت الصورة السلبية في الرواية هي الغالبة من خلال الصراع الطائفي بين الأديان والثقافات المختلفة والتمرد على الواقع المعاش والشعور بضياح الهوية الشخصية .

- أعاد أحمد سعادوي إحياء التراث العراقي (ألعاب ، لهجة) لخدمة الفن الروائي من جهة ، وللدلالة على أنها أصل من أصول المجتمع العراقي ، يصعب التخلي عنها أو نسيانها ؛ لأنها ستظل أداة موجهة ضد التغييب و التهميش الذي تمارسه بعض الأنساق الثقافية المتعالية في الواقع من جهة أخرى .

الهوامش :

- 1- محمد، عمارة، 1999، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ، دار النهضة ،ط1، مصر : ص 6 .
- 2- العظمة وآخرون ، عزيز وآخرون ، 2005، مفاهيم علمية للهوية ، تر : عبد القادر قنيني ، الدار البيضاء ،ط1، بيروت : ص 67-68.
- 3- حنفي ، حسن ، 2012، الهوية ، المجلس الأعلى للثقافة ،ط1، القاهرة : ص 23.
- 4- سعيد ، سعيد ، 2001، الاستشراق ،مؤسسة الأبحاث العربية ،ط5، بيروت : ص 51 .
- 5- لارين ، جورج ، 2002، الايدلوجيا والهوية ، تر : فريال حسن خليفة ، مكتبة مدبولي ، ط1، القاهرة : ص 251.
- 6- كركوش ، د. فتحية ، 2014، اشكالية بناء الهوية النفسية الاجتماعية - دراسة تحليلية نقدية ، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية ، العدد 16 ، سبتمبر : ص 267.
- 7- هارون ، نبيل عبد السلام ، 1997، معجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة : ص 654.
- 8- مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، 1989، المعجم الوسيط ، ج 2 : ص 998.
- 9- صليبا ، جميل ، 1982، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ج 2 : ص 530.
- 10- الجرجاني، علي بن محمد ، دت ، دط، كتاب التعريفات ، تحقيق: محمد الصديق أغشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة : ص 201.
- 11- ريكور ، بول ، 2009، الهوية والسرد ، تر: حاتم الورفلي ، دار التنوير ، تونس : ص 6.
- 12- سعادوي ، أحمد ، رواية باب الطباشير: ص 131.
- 13- المصدر نفسه : 133.
- 14- المصدر نفسه : 47.
- 15- المصدر نفسه : 108-109 .
- 16- المصدر نفسه : 162.

- 17- ولد خليفة ، محمد العربي ، دت، دط، المسألة الثقافية ، قضايا اللسان والهوية ، دار قالة ، الأبيار ، الجزائر : 105 .
- 18- زعيمي ، مراد ، 2001 ، الثقافة والعولمة بين التكيّف والتفاعل ، منشورات جامعة قسنطينة ، الجزائر : 120 .
- 19- السيف ، ناصر بن سعيد بن سيف ، الهوية والثقافة ، دار كتاب للنشر والتوزيع ، الإمارات : 5-6 .
- 20- الذواوي ، محمد ، 2006 ، الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلامية واغتراب منظور العلوم الاجتماعية ، دار الكتاب الجديدة ، المتحف ، ط1 ، بيروت ، لبنان : 44ص .
- 21- عوار و عيش ، سمية وصونية ، 2017- 2018 ، إشكالية الهوية في الرواية العربية المعاصرة - رواية اليهودي الحالي - ل علي المقرري انموذجاً ، رسالة ماجستير ، جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل - ، الجزائر : 25ص .
- 22- باب الطباشير : ص 345 .
- 23- وّثار ، محمد رياض ، 2002 ، توظيف التراث الشعبي في الرواية العربية المعاصرة ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق : ص 21 .
- 24- باب الطباشير : 59 .
- 25- المصدر نفسه : 282 .
- 26- الزحيلي ، محمد ، 1991 ، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس اليه ، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية : ص 18-19 .
- 27- كاظم ، نائر رحيم ، 2009 ، العولمة والمواطنة والهوية ، مجلة جامعة القادسية في الآداب والعلوم التربوية ، ع1 ، مجلد : ص 259 .
- 28- عطية ، محمد عبد الرؤوف ، 2009 ، التعليم وأزمة الهوية الثقافية ، مؤسسة طيبة ، القاهرة : ص 45 .
- 29- باب الطباشير : ص 267-268 .
- 30 - المصدر نفسه: ص 304-305 .
- 31- المصدر نفسه : ص 305 .
- 32- المصدر نفسه: ص 306 .
- 33- المصدر نفسه : ص 276 .

المصادر والمراجع :

- 1- سعداوي، أحمد، 2017، رواية باب الطباشير ، منشورات الجمل ، ط1، بيروت - لبنان .
- 2- سعيد، ادوارد ، 2001، الاستشراق ، مؤسسة الأبحاث العربية ، ط5 ، بيروت .
- 3- حنفي، حسن ، 2012. الهوية ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط1، القاهرة .
- 4- الجرجاني، علي بن محمد ، دت، دط، كتاب التعريفات ، تحقيق: محمد الصديق أغشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة .
- 5- الذواوي، محمد ، 2006. الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلامية واغتراب منظور العلوم الاجتماعية ، دار الكتاب الجديدة، المتحف ، ط1، بيروت ، لبنان .
- 6- وتار، محمد رياض ، 2002، توظيف التراث الشعبي في الرواية العربية المعاصرة ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق .
- 7- الزحيلي ، محمد، 1991، وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس اليه ، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية .
- 8- عطية ، محمد عبد الرؤوف، 2009، التعليم وأزمة الهوية الثقافية ، مؤسسة طيبة ، القاهرة .
- 9- ولد خليفة، محمد العربي ، دت ، دط ، المسألة الثقافية ، قضايا اللسان والهوية ، دار قالة ، الأبيار ، الجزائر .
- 10- عمارة، محمد ، 1999، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية ، دار النهضة ، ط1، مصر .
- 11- زعيمي، مراد ، 2001، الثقافة والعولمة بين التكييف والتفاعل ، منشورات جامعة قسنطينة، الجزائر .
- 12- السيف، ناصر بن سعيد بن سيف ، الهوية والثقافة ، دار كتاب للنشر والتوزيع ، الإمارات.